سلسلة: أخلاق النبي محمد ﷺ - 1 -

أولًا: خُلُق الحِلْم

لفضيلة الشيخ:
د/ محمـــد الدبيسي
حفظه الله تعالى وعفا عنه

إصدار: 1.0 مسودة

إصدار: 1.0 **مسودة**

8 **ربيع الأول** 1433 **هـ** الموافق: 31 **يناير** 2012 **م**

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف: فضيلة الشيخ د/ محمد الدبيسي حفظه الله تعالى.

للاتصال: debiessy@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أمَّا بعدُ..

فهذا تفريغٌ للخطبة الأُولَى من سلسلة خطب «أخلاق النبيّ محمد ﷺ» لفضيلة الشيخ د/ محمد الدبيسي- حفظه الله تعالى، قُمنا بتفريغها رغبةً مِنَّا في تيسير وصول المعاني العالية والمواعظ الإيمانيةِ التي احتوتْها هذه الخطبةُ القيّمة لإخواننا طلبة العلم.

وهذه السلسلة الطيبة والمميزة تتكون من إحدَى عشر خطبة شرح فيها فضيلةُ الشيخ حفظه الله عدَّةَ أخلاقٍ مُنْتَقاةٍ من خُلق النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم لتُناسبَ وتعالجَ حالَ المؤمنين اليومَ وما فرّطوا فيه من أخلاق النُّبوَّة، ولتكون تلك الأخلاقُ محلَّ التأسِّي من قِبل المؤمنين في كل زمان ومكان[1].

ومن الأهمية بمكانٍ بخصوص هذا التفريغ أنْ نُنبِّهَ أن فضيلة الشيخ حفظه الله تعالى لم يُراجعْه ويُهذِّبْه نظرًا لانشغاله الشديد في الفترة الأخيرة، لذلك أطلقنا عليه نعْتَ "مسودة".

وكان منهجنا في هذا التفريغ هو تفريغ الخطبة تفريغًا حرفيًّا، ثم مراجعة أخطاء التفريغ ومعالجتها لغويا وسماعيًّا ..إلخ، ثم تهذيب التفريغ حتى نُحافظ على

(1) للاستماع لهذه السلسلة الطيبة:

http://debiessy.awardspace.com/general/akhlak.htm

عبارات فضيلة الشيخ كما هي على قدر الإمكان وفي نفس الوقت نُحوّل أسلوبَ الخطبة من الصورة المسموعة إلى الصورة المقروءة كما هو متعارف عليه بين أهل الفنّ، ثم تخريج الأحاديث تخريجًا وجيزًا مع ضبطها.

ونسأل الله تعالى أن يُبارك في وقت وصحّة فضيلة الشيخ حفظه الله تعالى، وأن يُيسر له مراجعةَ هذه الخطبة، وأن يُضيف إليها من إضافاته القيّمة حتى يزداد ويزداد انتفاعُ إخواننا بهذا الشرح المبارك، كما نسألُه تعالى أن ينفع بهذه الرسالة مؤلفَها والناظرَ فيها وكلَّ مَنْ شارك في نشرها ابتغاء وجه الله تعالى.

تمهيد

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: 102].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: 1].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 70، 71].

أما بعد،،،

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار. اللهم صلِّ على سيدنا محمد النبي وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته، كما صليت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد.

تمهيد

وما زلنا كما تذكرون في قضايا الاحتفاء بمجيء النبي ﷺ إلى هذا العالم، ليكون سببَ سعادتهم في الأولى والآخرة. وقد ذكرنا فيما سبق ما يتعلق به ﷺ في القرآن الكريم من مدح الله له وثناء الله جلَّ وعلا عليه؛ وهو القسم الأول، والقسم الثاني كان في التأْيِيْدات الإلهية للنبي ﷺ، وكان الثالث في شيءٍ من حقوقه: من محبته، وطاعته، وتوقيره، واحترامه، وتعزيزه، وإجلاله ﷺ وآثارِ هذه الحقوق، يعني مفردات هذه الحقوق في مخاطبته وفي التحدث إليه وفي سماع كلامه وفي اتباع سنته والتزام هديه... إلى غير ذلك.

وأشرنا إلى ذلك كله سريعًا لنستأنف الكلام فيما لم نتحدث فيه من قبل: وهو المتعلق بأخلاقه وعباداته التي يجب أن يهتم لها أهلُ الإيمان، وأن يكون النبيُّ ﷺ - كما ذكرنا في حقوقه - هو أسوتَهم وقدوتهم إلى الله تبارك وتعالى. وكما ذكرنا لا يجد حلاوةَ الإيمان مَنْ لم يرَ نفسه في مُلْكِ النبي ﷺ، يعني لا يخرج عن ملكه في شيء: «**ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا**»[1]، يعني: لا يجد المرءُ حلاوةَ الإيمان إلا أن

(1) أخرجه الإمامان البخاريُّ (16) ومسلمٌ (67) في صحيحَيْهما من رواية أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعًا، وتمام لفظ الحديث عند الإمام مسلم للفائدة: «**ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلاَّ لله، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِى الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِى النَّارِ**».

يكونَ النبيُّ ﷺ هو الحاكمَ عليه في تصرفاته وأقواله وأفعاله، وفي ظاهره وباطنه، واعتقاداته وعباداته وسلوكه، وفي كل ما يتعلق بجميع حاله كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: 162]، ولا يكون ذلك إلا باتباع النبي ﷺ ومحبته.

ونبتدئ اليوم شيئًا من أخلاقه ﷺ التي نحتاج إليها وهي - يعني هذه الأخلاق التي نفتتح بها نستعيد بها هذه القضايا من أخلاق النبي ﷺ - «**قضية الحِلم والعفو والصفح والتحمُّل**» في أحواله المُشرَّفةِ ﷺ، وهذا السبب الأول: ليستعيد المؤمنون هذه الذكريات مع أخلاق النبي ﷺ من ناحية، ومن ناحية ثانية أننا كُنا نشرح اسم الله تعالى «الحليم» في درس الثلاثاء وقد أخَّرنا أخلاق النبي ﷺ المتعلقة بـ«الحليم» ليكون مَحِلُّها يوم الجمعة حتى تكون ملتصقةً باحتفائنا بالنبي ﷺ.

لذلك كان اختيارُ هذا الموضوع اليوم وهو الحِلم، يعني: حِلم النبي ﷺ.

وانظر إلى هذا الخُلق وانظر إلى أخلاقنا، لترى الفارق الشاسع بين ما نحن فيه وما ينبغي أن نكون عليه من أخلاق النبي ﷺ، ليجاهد الناس أنفسَهم في هذه السيرة العطرة - سيرةِ النبي ﷺ - على أن يتخلقوا بأخلاقه، وأن يتصفوا بصفاته، وأن يجاهدوا أنفسهم على ذلك كله، فلن يستطيع أحدٌ بين يومٍ وليلةٍ أن يتخلق بهذه الأخلاق أو بخلقٍ منها، **وإنما هي المجاهدة** التي ينبغي أن يضع الناسُ نصب أعينهم النبيَّ ﷺ أُسْوَةً وقُدْوةً، ثم يحاولوا بعد ذلك في التشبه

بهذه الصفات وأن يجاهدوا أنفسهم عليها وأن يكون همهم أن يصلوا إلى ذلك، فكلما وصلوا إلى خلق من أخلاق النبي ﷺ يكونون قد أخذوا بحظهم من صفات الله تعالى التي أشرنا إليها؛ **إذْ أعظمُ مَنْ تجسَّدت فيه صفاتُ الله تبارك وتعالى وأخَذَ بحظه الأعظم منها هو النبيُّ ﷺ**.. إذْ ما أمر اللهُ تعالى بأمرٍ أو بخُلُقٍ أو بصفةٍ أو بعملٍ إلا وكان النبيُّ ﷺ المقدَّمَ فيها والرئيسَ فيها صلوات الله وسلامه عليه.. إذ لا يكون قدوةً للبشر- أجمعين إلا أن يكون على أحسن الصفات المقرِّبة لله جل وعلا والتي هي من صفات الله تعالى التي أمر الله تعالى بها عبادَه.

❁❁❁

معنى الحِلْم

والحِلْم: هو التَّعَقُّلُ، والأناةُ، والتريثُ، وعدمُ العَجَلة في العقوبة لمن أساء إليه أو لمن بَدَرَ منه في حقه شيءٌ، وعدمُ السَّفَهِ والطَّيْش في تصرفات المرء، يعني ملخصها: أن المرء يصيبه الثبات والوقار عندما تأتي أسبابُ الغضب وأسباب معاجلة العقوبة، فلا يغضبُ ولا يعاجل الناسَ بالعقوبة، بل يتريث؛ لا يعاجل الشَّتيمةَ بالشتيمة، ولا التطاولَ بالتطاول، ولا السخريةَ بالسخرية، ولا قَطْعَ الرحمِ بقطعِ الرحم... ولا غير ذلك مما سنشير إلى شيء من تفاصيله في أخلاقنا اليوم، وإنما هو التريث وترك المعاجلة بالعقوبة.

❁❁❁

أمثلةٌ من حلْم النبي ﷺ

وكان ذلك الحلم هو خُلقَه صلى الله عليه وآله وسلم، وسنضرب الأمثلة سريعًا لنبين هذه المسألة حتى يكون المرء على بيِّنَةٍ من أمْره وكذلك على بينة من أخلاقه – السامع والمتكلم – تلك الأخلاق السيئة التي نحياها اليوم ولا علاقة لها بالنبي ﷺ.

❁❁❁

المثلُ الأول: حِلْمُه مع الأعرابي

ونضربُ هذا المثل أولًا ليستفتح الناس به، وهو حديث الأعرابي. وذاك المَثلُ مشهورٌ تعرفه الناس ، ومن شدة عرفان الناس له صار المثل بالنسبة إليهم شيئًا مبتذلًا لا جديد فيه! فعنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: «كُنْتُ أَمْشِي- مَعَ رَسُولِ الله ﷺ وَعَلَيْهِ رِدَاءٌ نَجْرَانِيّ غَلِيظُ الحَاشِيَةِ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيّ فَجَبَذَهُ بِرِدَائِهِ جَبْذَةً شَدِيدَةً. نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عُنُقِ رَسُولِ الله ﷺ وَقَدْ أَثَّرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَبْذَتِهِ. ثُمَّ قَالَ: «يَا مُحَمَّدُ! مُرْ لِي مِنْ مَالِ الله الَّذِي عِنْدَكَ». فَالتَفَتَ إِلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ فَضَحِكَ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ!»(1). وتأمَّلْ في الحديث السابق كيف جذب ذلك الأعرابيُّ النبيَّ ﷺ من ردائه – وكان رداؤه ﷺ غليظًا فأثَّر في عنقه

(1) رواه بنحوه الإمامُ البخاري في صحيحه (5809)، والإمامُ مسلم (1075) في صحيحه، وفي روايةٍ أخرى عند مسلم قَالَ: «**ثُمَ جَبَذَهُ إِلَيْهِ جَبْذَةً رَجَعَ نَبِيُّ الله ﷺ فِي نَحْرِ الأَعْرَابِيّ**». وَفِي رواية أخرى عنده أيضًا: «**فَجَاذَبَهُ حَتَّى انْشَقَّ الْبُرْدُ، وَحَتَّى بَقِيَتْ حَاشِيَتُهُ فِي عُنُقِ رَسُولِ الله ﷺ**». وقوله «جَبَذَه» أي: جذَبه، يعني: مدَّه نحوه.

الشريف صلى الله عليه وآله وسلم- فلم يَزِدِ النبيُّ صلوات الله وسلامه عليه على أن تَبَسَّم وأعطاه ﷺ!. وفي روايةٍ - إنْ صحتْ[1]- يقول له النبيُّ ﷺ: «**لاَ وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ، لاَ أَحْمِلُ لَكَ حَتَّى تَقِيدَنِى مِنْ جَبْذَتِكَ الَّتِى جَبَذْتَنِى**» يعني كأن صلى الله عليه وسلم يقول: نعم. أنا أُعطيكَ من مال الله الذي ليس مالي ولا مال أبي، فالمَالُ مَالُ الله، «وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ» ، ولكن: هل يُقْتَصُّ منك؟ يعني: أأقتص منك كما فعلتَ بي؟ فقال الأعرابي: «وَاللهِ لاَ أَقِيدُكَهَا»، ومع ذلك ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر له بعطاء، لماذا؟ لأنّه صلى الله عليه وسلم «لاَ يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ»(2)! صلى الله عليه وآله وسلم.

---

(1) أخرج هذه الرواية التي طُلِب فيها القودُ من الأعرابيِّ أبو داود (4775) وسكت عنها، وبنحوها النسائيُّ (4476)، وفي سندهما مُحَمَّدُ بْنِ هِلَالٍ، قال في حقِّه ابنُ مفلح في الآداب الشرعية: (وَثَّقَهُ ابْنُ حِبَّانَ، وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ لَيْسَ بِمَشْهُورٍ) اهـ، لذلك صُدِّرت الرواية أعلاه بقول فضيلة الشيخ: "إنْ صحّتْ".

(2) هذه الجملة أخرجها البخاري (2125) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما موقوفًا عليه، وتمامُ نصِّ الحديث للفائدة: عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ: «لَقِيتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ - رضي الله عنهما - قُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي التَّوْرَاةِ. قَالَ: أَجَلْ، وَاللهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَاةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، وَحِرْزًا لِلأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ الْمُتَوَكِّلَ، لَيْسَ بِفَظٍّ وَلاَ غَلِيظٍ وَلاَ سَخَّابٍ فِي الأَسْوَاقِ، وَلاَ يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللهُ حتى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ؛ بِأَنْ يَقُولُوا لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا، وَآذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا».

وهذا هو المدخل الذي ينبغي أن يتعلمه المرء: أن النبي ﷺ كان لا يُكافئ السيئةَ بالسيئة؛ كيف يكافئ السيئة بالسيئة وهو صاحب الخُلُق العظيم؟! كيف ينزل إلى مستوى المُسيئين المقصرِّين المتلوّثين الشتَّامين المتطاولين الساخرين؟!... كيف ينزل إلى مستواهم وهو النبي ﷺ الذي قد أتى لهدايتهم، وأتى لإرشادهم، وأتى لتعليمهم، وللأخذ بأيديهم إلى أسباب نجاتهم؟ كيف يتخلق بهذه الأخلاق وهو الرحيمُ بهم؛ الرءوفُ بهم؛ الذي يأخذ بحُجَزِهم عن النار وهم يَتَفَلَّتُون منه؟![1] كذلك يجب أن يكون أتباعُه ﷺ لا حَظَّ لأنفسهم في معاملتهم لله تعالى، أي: لا يغضبون لأنفسهم؛ لذلك قال تعالى: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾ [لقمان: 17]، ولم يقل: «وإنْ شتموكَ فاشتُمهم.. وإن قاطعوك فقاطعهم.. وإن سخِروا منك

(1) عن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- : « **مَثَلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا، فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهَا جَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا، وَجَعَلَ يَحْجُزُهُنَّ، وَيَغْلِبْنَهُ، فَيَتَقَحَّمْنَ فِيهَا! قَالَ فَذَلِكُمْ مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ: أَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ: "هَلُمَّ عَنِ النَّارِ.. هَلُمَّ عَنِ النَّارِ.." فَتَغْلِبُونِي؛ تَقَحَّمُونَ فِيهَا!** ». أخرجه البخاري (6483) ومسلم (2284) في صحيحيهما، وفي رواية لمسلم (2285) : «.. **وَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ، وَأَنْتُمْ تَفَلَّتُونَ مِنْ يَدِي** » . لغة الحديث: «بِحُجَزِكُمْ»: «الحُجَزُ» جمع حُجْزَة؛ وَهِيَ مَعْقَدُ الْإِزَارِ. «تَقَحَّمُونَ»: أي تَقْتَحِمُونَ فيها. وفي هذا المَثَلِ شبّه النبيُّ صلى الله عليه وسلم تساقُطَ الجهلةَ والمخالفين بمعاصيهم وشهواتِهم في نار الآخرة وحرصِهم على الوقوع فيها – معَ منعِه لهم! – بتساقُط الفراش في نار الدنيا؛ لهواه وضعف تمييزه وعدم درايته بحرّ النار ولهيبها، ولو علمَ لم يدخلْها، بل ظن أن ضوء النار يريحه من ظلام الليل؛ فكذا العاصي :يظن أن المعاصي تُريحه؛ فيتعجلُ لذَّةَ ساعةٍ بذُلِّ الأبد ، انظر – بتصرف: فيض القدير لمحمد عبد الرؤوف المناوي رحمه الله تعالى (ت: 1029 أو 1030هـ.)

فاسخَرْ منهم.. وإن حرموك فاحرِمهم.. وإن ضربوك فاضربهم...»، لا! لم تكن هذه دعوةً إذن ولم تكن هذه أخلاقًا، يعني هل جاء النبي صلى الله عليه وسلم لنتعارك ولنتشاتم ولنتقاطع ولنتدابر ولنتباغض؟!! كلا؛ ليست تلك أخلاقَ النبي ﷺ، وإنما الأخلاق كما يقول عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: «**لَا يَدْفَعُ السَّيِّئَةَ بِالسَّيِّئَةِ**»[1]، مع عِلْمنا أن الحِلم لا يكون إلا مع القدرة، يعني مع قدرة النبي ﷺ وتمكُّنه من أن يردَّ السيئة بالسيئة وأن يقابل السيئة بالسيئة، ولكن لم يكن ذلك خلقَه صلوات الله وسلامه عليه؛ لذلك تقول السيدة عائشة رضي الله عنها: «**وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِنَفْسِهِ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ**»[2]. يعني: كان لا يغضب لنفسه صلى الله عليه وسلم، فإذا انتُهِك شيءٌ من حُرمات الله تعالى لم يقم لغضبه صلى الله عليه وسلم شيءٌ.

والمرء المؤمن كذلك ينبغي ألا يكون همُّه هذه النفسَ الأمَّارة بالسوء التي تدعوه إلى أن يشتُم وأن يقابل السيئة بالسيئة. متى يتفرغ قلبه إذًا للآخرة؟! وهذا الشخصُ الذي قد أساء إليك؛ متى يكون همُّكَ أن يكون صالحًا؟ ومتى يكون همُّك أن تُعَلِّمَه الآخرة؟ ومتى يكون همك أن تأخذ بيده إلى الله تعالى؟

أنت مأمورٌ أن تكون مُتَّبِعًا للنبي ﷺ في أن تأخذ بيد الناس إلى الله تعالى، لا أن تعارِكهم وأن تشاتمهم وأن تقابلهم السيئة بالسيئة وأن تفعل فيهم ما فعلوا

(1) سبق تخريجه قريبًا.

(2) رواه الإمام البخاري (3560) بنحوه، والإمام مسلم (2327) من حديث عائشة رضي الله عنها.

فيك! متى يتبقى في قلبك شيءٌ لله تعالى؟ متى يتبقى في قلبك شيء تعمل به لله تعالى؟!

وانظرْ إليك: إذا لم تتمكن من مقابلة السيئة بالسيئة خَزَّنْتَ كلّ ذلك في قلبك، وانتظرتَ اللحظة التي تنتقم فيها وتتشفَّى فيها وترى فيها يومًا سيئًا لإخوانك الذين آذَوْك، أو الذين فعلوا بك شيئًا تكرهه، أو قاموا ضِدَّكَ بشيء لا يحسنون فيه إليك. وينتقل بعد ذلك الحلمُ إلى الحقد وتصبح امرأً قد امتلأ قلبُه بالحقد.. امتلأ قلبه بانتظار الانتقام.. امتلأ قلبه بالتشفي... أنَّى يكون هذا القلبُ قلبًا سليمًا ينفع العبدَ عند الله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: 88، 89]. لذلك قالت السيدة عائشة رضي الله عنها: «مَا ضَرَبَ رَسُولُ الله ﷺ شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ وَلَا امْرَأَةً وَلَا خَادِمًا إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ الله، وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ إِلَّا أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ الله فَيَنْتَقِمَ لله عَزَّ وَجَلَّ»[1].

وانظر إلى ما يفعل المؤمنون اليوم - دَعْكَ مما يفعل غيرُهم - مِن خروجهم، كما يقولون، عن أعصابهم وعن أطوارهم، وأن يردوا السيئة بالسيئة. لذلك كان هذا الأمرُ في حديث النبي ﷺ الذي ذكرنا لـمَّا جبذه الأعرابي هذه الجبذة، يعني: مَسَكَهُ من ردائه الشريف ﷺ وشدَّهُ شدَّةً شديدةً أثرت في عنقه الشريف ﷺ، وقال: «يَا مُحَمَّدُ! مُرْ لِي مِنْ مَالِ الله الَّذِي عِنْدَكَ»، فيتبسم النبي ﷺ!

(1) أخرجه الإمام مسلم (2328) في صحيحه.

ولو فُعِلَ مثلُ ذلك في أحدٍ منّا – نحن المساكين الذين ليس لهم شيء يُذْكَر لا في الدنيا ولا في الآخرة – لقال: «لن أعطيك شيئًا، وسأفعل بك وبأبيك»! ولن تنتهي هذه المسألة على خير في يومها، بل تنتهي إلى ما تعلمون من تلك الأخلاق السيئة والعواقب الوخيمة التي لا يتخيل المرءُ أن يصل بها إلى ذلك!!

❁❁❁

المثالُ الثاني: حِلْمُه ﷺ مع المنافقين

وإن كانت هذه معاملته ﷺ في مال الله الذي ليس مالَه ﷺ، كان كذلك في معاملته مع المسلمين ﷺ، بل وكان في معاملته مع المنافقين كذلك.

وانظر إلى معاملته مع المنافقين: كان عبد الله بن أُبي بن سلول رأس المنافقين في المدينة، وكانوا يَعُدُّونه لِتَنْصِيبه مَلِكًا عليهم قبل مجيء النبي ﷺ إلى المدينة، فلما جاء النبي صلوات الله وسلامه عليه انتهى هذا العهدُ. لم يؤمن عبدُ الله بن أُبي – وإن كان يُظهِرُ الإسلام – وكان رأسَ المنافقين، وكان يكيد للنبي ﷺ جهرةً وسرًّا، وكان ابنه عبدُ الله بن عبدِ الله من شرفاء الصحابة، وكان من أحاسنهم ﷺ.

كان عبد الله بن أُبي نزلت فيه الآية في قوله تعالى: ﴿**لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ**﴾ [المنافقون: 8]. حيث كانوا في غزوةٍ وتلاحَى أنصاريٌّ مع مهاجريٍّ، وهذا نادى على حَيِّه وهذا نادى على حَيِّه. قال عبد الله بن أبي:

«ما مَثَلُنا ومَثَلُ محمدٍ إلا كما قال القائل: «سَمِّنْ كَلْبَكَ يَأْكُلْكَ. لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ»؛ يقولُ ابن أُبيّ: «الأعزّ» على نَفْسِه، و«الأذلّ» على أعزّ خَلْق الله ﷺ! -فيقول عمر ﷺ: «دَعْنِي أضربُ عنقه»، أو «لِيضربْ عنقَه سعدُ بن عبادة أو واحد من قبيلته». فيقول النبي ﷺ: « **دَعْهُ؛ لاَ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ** »[1]!!

بل لـمَّا مات صلَّى عليه النبيُّ ﷺ برغم ذلك حتى نهاه اللهُ جلَّ وعلا على أن يصلي على هؤلاء المنافقين كما قال: ﴿**وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ**﴾ [التوبة: 84].

لذلك وجدنا هذا المعنى من معاني الحلم!

---

(1) هذه القصة أخرجها البخاري (4907) ومسلمٌ (2584) بنحوها دون قوله "سمِّن كلبك يأكلك" فهي من مرسل قتادة كما قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في الفتح، ونصّ رواية الحديث كاملة عند البخاري: قَالَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ الله - رضى الله عنهما كُنَّا فِى غَزَاةٍ فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالَ الأَنْصَارِىُّ: يَا لَلأَنْصَارِ ! وَقَالَ الْمُهَاجِرِىُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ ! فَسَمَّعَهَا اللهُ رَسُولَهُ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «**مَا هَذَا؟!**» . فَقَالُوا كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالَ الأَنْصَارِىُّ: يَا لَلأَنْصَارِ . وَقَالَ الْمُهَاجِرِىُّ: يَالَلْمُهَاجِرِينَ . فَقَالَ النَّبِىُّ صلى الله عليه وسلم « **دَعُوهَا؛ فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ** » . قَالَ جَابِرٌ وَكَانَتِ الأَنْصَارُ حِينَ قَدِمَ النَّبِىُّ صلى الله عليه وسلم أَكْثَرَ ، ثُمَّ كَثُرَ الْمُهَاجِرُونَ بَعْدُ ، فَقَالَ عَبْدُ الله بْنُ أُبَىٍّ: أَوَقَدْ فَعَلُوا ! وَالله! لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ . فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضى الله عنه: دَعْنِى يَا رَسُولَ الله أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ؟. قَالَ النَّبِىُّ صلى الله عليه وسلم: « **دَعْهُ؛ لاَ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ** ».

وكان النبيُّ ﷺ قادرًا على أن يواجِهَه، وقادرًا على أن تنتهي حياةُ ذلك المنافقِ شرعًا وعقلًا وواقعًا بسبب كلمةٍ واحدةٍ من هذه الكلمات، ولكن النبي ﷺ كان أحلمَ من ذلك.. وأكرمَ من ذلك.. وأجلَّ من ذلك.

وكان يُسيء أكثرَ من ذلك إلى النبي ويصبرُ ﷺ عليه: كان عبد الله بن أُبيّ يكون في مجلسٍ ويأتي النبي ﷺ راكبًا حمارَه كما كان يركب من تواضعه صلوات الله وسلامه عليه، فكان يقول له عبد الله بن أُبيّ: «أَخِّر عنا نَتَنَ حمارك»[1]، يقول ذلك للنبي ﷺ!! وما كان ﷺ لِيَرُدَّ ذلك؛ لأنه لم يكن ليأتي لِيرد على الناس ويشتُمهم ويشتموه ويقاطعهم ويقاطعوه. لا، قد أتى لِيعلمَهم.. ليرشدهم.. ليربيهم.. ليأخذ بأيديهم إلى الله تعالى.. ليعلمهم طريقَ الآخرة..

(1) هذه القصة أخرجها البخاري (2691) ومسلمٌ (1799) بنحوها، ونصّ رواية الحديث كاملة عند البخاري: أَنَّ أَنَساً - رضى الله عنه- قَالَ: «قِيلَ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: لَوْ أَتَيْتَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أُبَيٍّ؟ . فَانْطَلَقَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم وَرَكِبَ حِمَاراً، فَانْطَلَقَ الْمُسْلِمُونَ يَمْشُونَ مَعَهُ، وَهْيَ أَرْضٌ سَبِخَةٌ، فَلَمَّا أَتَاهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: « إِلَيْكَ عَنِّى، وَاللَّهِ لَقَدْ آذَانِى نَتْنُ حِمَارِكَ ». فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ مِنْهُمْ: وَاللَّهِ لَحِمَارُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَطْيَبُ رِيحاً مِنْكَ ! فَغَضِبَ لِعَبْدِ اللَّهِ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ فَشَتَمَا، فَغَضِبَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَصْحَابُهُ، فَكَانَ بَيْنَهُمَا ضَرْبٌ بِالْجَرِيدِ وَالأَيْدِى وَالنِّعَالِ، فَبَلَغَنَا أَنَّهَا أُنْزِلَتْ {**وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا**} ».

قال الحافظ في الفتح: «أَرْضٌ سَبِخَةٌ » أَيْ ذَات سِبَاخ، وَهِيَ الْأَرْض الَّتِي لَا تُنْبِت، وَكَانَتْ تِلْكَ صِفَة الْأَرْض الَّتِي مَرَّ بِهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ ذَاكَ، وَذَكَرَ ذَلِكَ لِلتَّوْطِئَةِ لِقَوْلِ عَبْد اللَّهِ بْن أُبَيّ إِذْ تَأَذَّى بِالْغُبَارِ.

ليخرجهم من حظوظ النفس وعبادة الشيطان وعبادة الهوى إلى عبادة الله تعالى.. ليُعَبِّدَهُم لله جلَّ وعلا.

انظر! لو قيل لأحدنا «أخِّر عنا نَتَنَ حمارك أيها الذليل» أو كذا وكذا مما يقال، لم يكن لِيَسْكُتَ أحدٌ، وما كانت تتركه نفسُه أن يسكت، وإلا حدثتْه نفسُه بأنه سيقال عليه:« إنه قد استعبطوه، ولا كرامة عنده، وإنه قد صار فيهم مثال السخرية ومثال الاستهزاء وقلة القيمة... وكذا وكذا» وأنه قد أُهينَ وأُهدرتْ كرامتُه.. إلى آخر ما نسمع من هذه الألفاظ التي لا قيمة لها في الآخرة؛ إذ كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾ [الحج: 18].

وما كان أحدٌ أكرمَ على الله تعالى من النبي ﷺ، حتى يَدَّعِي الناسُ - الذين لا قيمة لهم اليوم من أمثالنا - لأنفسهم الكرامةَ والعزة وعدم المهانة والانتقام لأنفسهم، وأنه ليس أحدٌ أحسنَ من أحد ولا أفضلَ من أحد؛ فإذا قاطَعَكَ قاطِعْهُ.. وإذا شتمكَ فاشتُمْه..، ثم يقول له: ألم أفعل لك كذا وكذا؟!.. ولن أفعل لك كذا وكذا، ولن أعطيك كذا.. إلخ! وهذه الأخلاق السيئة يجب أن يتفكر فيها المؤمنون اليوم، لـمَا ينبغي أن نعلمه في نهاية الكلام من خطورة هذا الخُلق السيِّء الذي قد عَطَّل على الناس قلوبَهم وأعمالهم لله تعالى، وشوَّش إخلاصَهم لله جلَّ وعلا، فيَتصادَق الناسُ وإذا حدث مِن بعضهم ما يمكن أن يحدث في الدنيا من أخلاقٍ سيئة، فتنقلب هذه الأُخوَّة - التي كانت في ظاهرها

لله – تنقلب لغير الله، وتنقلب غضبًا للنفس، وتنقلب إلى قطيعة وبغضاء وشحناء، وخذ من ذلك ما شئت.

إلى متى يحلم المرء؟

قد يقول القائل بعد هذا الكلام: إلى متى يَحْلُم المرء؟ إلى متى يتسع خلقه وصدره لهذا الكلام؟ إلى متى يكون ذلك؟

كان النبي ﷺ شديد الحلم، ولم يؤثَرْ عنه ﷺ هفوة في هذه المسألة، ولم يُحفظ عنه ذَلة فيها ﷺ. وإنْ كان يقول القائل: «اتَّقِ غضبَ الحليم»؛ يعني: الحليمُ يحلُم ويحلُم ويحلُم، فإذا ما انتهى حِلمُه انفجرَ وفعلَ ما فعلَ!! لكن النبيّ ﷺ على عكس ذلك؛ لم يكن كذلك أبدًا صلوات الله وسلامه عليه؛ بل كان كما جاء في القصص التالي:

القصة الأولى: سعةُ وطولُ حِلْمِه صلى الله عليه وسلم مع اليهودي الذي قاضاه قبل حلول الأجل

جاء زيدُ بن سعنة وكان حبرًا من أحبار اليهود، فأخذ زيدٌ النبيَّ ﷺ من تلابيبه، يعني: أمسك بملابسه كلِّها ﷺ وهو يجذبه ويقول له: «إنكم يا بني عبد المطلب أصحابُ مُطْل»، وكان قد استدان منه النبيُّ ﷺ شيئًا ولم يأتِ وقتُ سداد الدَّيْن، يعني: جاء هذا اليهودي قبل ثلاثة أيامٍ من دَيْنه ليقول له: أين دَيْني؟! وإنكم قوم مُطْل! وأخذ يجذب النبيَّ ﷺ ويأخذ بتلابيبه كما يقال.

وجاء عمرُ ليقتله، فقال النبيُّ ﷺ: يا عمر! كنا - يعني نحن وهو - أحوجَ إلى غير ذلك منك، يعني: كنا في احتياج إلى غير ذلك الخُلُق منك: «أن تأمرني بحسن القضاء وأن تأمره بحسن التقاضي»، أن تأمرني أنا بحسن القضاء في أن أعطيه حقه، وأن تأمره هو بأن يُحسن التقاضيَ، أي عندما يطلب حقَّه لا يطلبه على هذا النحو. و قال النبيُّ ﷺ لليهوديّ: «بقي من أجْلِك ثلاثٌ»، يعني: بقي ثلاثة أيام على دَيْنك «وقد تَعَجَّلْتَ» وليس هذا من حقك.. ثم قال لعمر ﷺ: «أوفِهِ» يعني: أن يُوفِيَه دينَه، وأن يزيده ثلاثين صاعًا لِما روَّعه عمرُ ﷺ. يقول زيد؛ هذا الحبر من أحبار اليهود وقد أسلم بعدُ وحَسُنَ إسلامُه، وكان من أعلمِهم وأكثرِهم مالًا، ومات مرجِعَهُ من تبوك مع النبي ﷺ[1]، يقول لعبد الله بن سلام: «لقد بقي في النبي ﷺ خَصْلتانِ لم أتحققهما من نبوته صلوات الله وسلامه عليه: أنه يسبق حِلمُه جهلَه، وأنه لا يزيده جهلُ الجاهل إلا حِلمًا»[2].

(1) انظر ترجمتَه في الإصابة لابن حجر والاستيعاب لابن عبد البرّ رحمهما الله تعالى، وفي الإصابة أنه «شهدَ مع النبيّ صلى الله عليه وسلم مشاهدَ كثيرةً» رضي الله عنه.

(2) أخرج هذه القصة ابنُ حبان في صحيحه (1/ 524) وغيرُه، قال الحافظ في الإصابة ما حاصله: روى قصةَ إسلامِه - أي إسلام زيد بن سعنة رضي الله عنه- الطبرانيُ وابنُ حبان والحاكم وأبو الشيخ في كتاب =

لمن يسأل: إلى متى يحلم المرء؟ وإلى متى ينتهك الناسُ كرامته؟ وإلى متى يبقى ذليلًا مهانًا؟ الذِّلة في معصية الله، والعزة في طاعته ﷻ.

لذلك يقول هنا في هذه الرواية: «خصلتان لم أتحققهما منه ﷺ: أنه يسبق حلمُه جهلَه»، يعني: إن جَهِل عليه جاهل أو شتمه أو جَبَذَهُ أو أساء إليه هذه الإساءة التي أساءها إليه، يسبق حلمُه جهلَه.

يتبسم ﷺ ويقول لعمر: «كنا أحوج إلى غير ذلك منك».

وكان يمكن أن يترك عمرَ ليفعل به ما فعل؛ إذ ليس من حقه ذلك، وأنه لو فعل به ذلك كان غضبُ عمر لله تعالى في مَحَلِّهِ، وكان مِن حقِّه أن يفعل ذلك، ومع ذلك يقول ﷺ: «أن تأمرني بحُسن القضاء»، يعني: عمرُ رضي الله عنه هو الذي يأمر النبيَّ ﷺ بحسن القضاء! وأن يأمر هذا اليهوديَّ بحسن التقاضي.

هذه الخَصلة[1] الأُولى التي كان يبحث عنها زيدٌ رضي الله عنه : أنه يسبق حلمُه جهلَه، لا أن يسبق جهلُه حلمَه كما نحن الآن! ثم بعد ذلك يعتذر المعتَذِر

=

«أخلاق النبي صلى الله عليه وآله وسلم» .. ورجالُ الإسناد موَّثَّقُون، وقد صرَّح الوليد فيه بالتحديث ومداره على محمد بن أبي السري الراوي له عن الوليد؛ وثَّقَه ابنُ معين وليَّنه أبو حاتم، وقال بن عدي: (محمد كثير الغلط) والله أعلم. انتهى مختصرًا.

(1) (الخَصْلَة) خُلُقٌ في الإنسان يكون فضيلةً أو رذيلةً، و في الحديث : «كانت فيه خصلة من خصال النفاق»، انتهى من «المعجم الوسيط».

مِنَّا يقول: «معذرةً لقد خرجت عن شعوري، فقد فعل بي وفعل.. إلخ».. كلا؛ لم يكن النبيُّ ﷺ كذلك؛ بل كان لا يسبق جهلُه حلمَه، يعني: لا يسبق ردُّه سفاهةَ الناس.

والخصلة الثانية: أنه لا تزيده سفاهةُ السفيه ولا يزيده جهلُ الجاهل إلا حلمًا.. ﷺ. ليس كما هي حال أحدِنا اليوم: أنه يصبر ويصبر ويحلُم ويحلُم.. ثم ينفجر، كلا؛ كان صلى الله عليه وسلم لا يزيده ذلك إلا حلمًا؛ كلما ازداد عليه السفيهُ سفاهةً ازداد عليه صلى الله عليه وسلم حِلمًا.. كلما ازداد عليه سفاهةً ازداد عليه حلمًا. ولم يُؤْثَر عنه ولم يحفظ له ﷺ لا ذَلة ولا هفوة وَقَع في خلاف ما ذكرنا من هذا الخلق العظيم؛ ﷺ[1].

❁❁❁

(1) وانظرْ أخي الكريم كيف كانت هاتان الخَصلتانِ سببًا لإسلام هذا الصحابي الجليل الذي كان حبرًا يهوديًّا فأسلمَ، وما أحوجنا اليوم للتحقق بهاتينِ الخَصلتين دعوةً إلى الله تعالى كما كان ذلك حال النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم.

القصة الثانية: سعةُ وطولُ حِلْمِه صلى الله عليه وسلم مع الخارجيِّ الذي قال للنبي "اعدِلْ.. فإنّك لم تعدِل"

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهَّ صلى الله عليه وسلم بِالْجِعِرَّانَةِ وَهُوَ يَقْسِمُ التِّبْرَ وَالْغَنَائِمَ وَهُوَ فِي حِجْرِ بِلاَلٍ فَقَالَ رَجُلٌ: "اعْدِلْ يَا مُحَمَّدُ فَإِنَّكَ لَمْ تَعْدِلْ" . فَقَالَ «**وَيْلَكَ، وَمَنْ يَعْدِلُ بَعْدِى إِذَا لَمْ أَعْدِلْ؟!**» . فَقَالَ عُمَرُ: دَعْنِى يَا رَسُولَ اللهِ حَتَّى أَضْرِبَ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ صلى الله عليه وسلم «**إِنَّ هَذَا فِى أَصْحَابٍ – أَوْ: أُصَيْحَابٍ – لَهُ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ**»[1] .

وفيما يلي نعلّق على بعض ألفاظ روايات هذا الحديث حيث أن للحديث روايات كثيرة:

جاء ذلك الأعرابيُّ الجِلف[2] ليقول للنبيﷺ وهو يَقْسِم بعضَ الغنائم: « اعْدِلْ يَا مُحَمَّدُ.. فَإِنَّكَ لَمْ تَعْدِلْ ».

(1) أخرجه ابن ماجه في سُنَنِه (172)، وصحَّحه الشيخ الألباني في صحيح ابن ماجه (142)، وهذا الحديث في الخوارج وله ألفاظٌ وروايات كثيرة؛ سيأتي ذكْرُ بعضها إن شاء الله تعالى في الشرح أعلاه.

(2) وهو: «ذُو الْخُوَيْصِرَةِ – وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِى تَمِيمٍ» كما في رواية صحيح البخاري (3610) وصحيح مسلم (1064) من رواية أبي سعيد الخُدري رضي الله عنه.

لم يـزد النبـيُّ ﷺ عـلى أن قـال: «**وَيْلَـكَ ، وَمَـنْ يَعْـدِلُ إِذَا لَمْ أَعْـدِلْ! قَـدْ خِبْـتَ وَخَسِرْـتَ إِنْ لَمْ أَكُـنْ أَعْـدِلُ** »[1] يعنـي خبـتَ أنـتَ، وخسرـتَ أنـت كـذلك أَيّهَـا التَّـابِعُ إِذَا كُنْـتُ لَا أَعْـدِل لِكَوْنِـك تَابِعًـا وَمُقْتَـدِيًا بِمَـنْ لَا يَعْـدِل، وفي روايـةٍ أخـرى أيضًـا: «.. **خِبْـتُ وَخَسِرْـتُ**.. » بتـاء المـتكلِّم المضـمومة، يعنـي: خبـتُ أنـا وخسرـتُ يعنـي : إذا لم أعـدل أخيـبُ وأخسرُ ـ ﷺ. وهـو – أي قولُـه صـلى الله عليـه وسـلم ذاك "خبـتُ وخسرـتُ"- معلَّـقٌ بعـدم العـدل؛ وهـو معصـوم منـه صـلى الله عليـه وسـلم[2]. وقولُـه «**وَيْلَـكَ، وَمَـنْ يَعْـدِلُ بَعْـدِى إِذَا لَمْ أَعْـدِلْ؟!**» يعنـي: مَـنْ أَوْلَى الناس في الدنيا بالعدل منّي؟!

وفي روايـةٍ قـال لـه: «**ويْحَـكَ؛ فمَـنْ يعـدلُ إذا لم أعـدل؟!**»[3] : «وَيْحَـك» هـذه كلمـةٌ تقـال للـترَحُّم، يعنـي عـلى سـبيل الـترحم، غـير «ويلـك» التـي عـلى سـبيل الهَلَكـة. فـ«ويلـك» عـلى سـبيل الهلكـة و«ويحـك» هـذه عـلى سـبيل الرحمـة. يعنـي: يـترحم بـه لجهلـه ثـم يرشـده إلى الحـق في هـذه المسـألة، ليقـول لـه: «مـن يعـدل إذا لم أعـدل؟! خبـتُ وخسرـتُ إذن إذا لم أعـدل». بـل هـو سـيد ولـد آدم في كـل أخلاقـه ﷺ، ولـن يزيده ذلك على أن قال: «إذا لم أعدل من يعدلُ؟» ﷺ.

---

(1) انظر رواية: صحيح البخاري (3610)

(2) أشـار الإمـام النـووي في شرح مسـلم إلى تلـك الـروايتَين في شرح ذلـك الحـديث فقـال: «رُوِيَ بِفَـتْحِ التَّـاء فِي (خِبْـتَ وَخَسِرْـتَ) وَبِضَـمِّهِمَا فِـيهِمَا، .. وَالْفَـتْح أَشْـهَرُ . وَاَللهُ أَعْلَـم.» انتهـى باختصـار ، شرح حـديث رقـم (1063).

(3) أخرجها الحميدي في مسنده (1322).

ولم يكن ذلك مثار ردٍّ منه صلى الله عليه وسلم برغم قولِ خالد بن الوليد رضي الله عنه: «دعني أضرب عنقه»، قال ﷺ: «لا»[1].

ولهذا الحديث طولٌ، لكن المهم كيف رأينا حِلمَ وسعةَ صدر النبي ﷺ وعدم ردِّ الإساءة وخُلُقَه المشرَّف ﷺ.

مع المنافقين واليهود والمسلمين والخوارج وغير ذلك .

❁❁❁

محبةُ اللهِ ورسولِه لخُلُقِ الحِلم

وكان حلمه ﷺ من الصفات التي قد منَّ الله تعالى عليه به؛ إذ الحلم من الصفات التي يحبها الله تعالى حيث يقول النبي ﷺ لِلأَشَجِّ عَبْدِ الْقَيْسِ « **إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ؛ الْحِلْمُ وَالأَنَاةُ** »[2]،وفي روايةٍ أن الأشجَّ قَالَ: «يَا رَسُولَ الله! أَنَا أَتَخَلَّقُ بِهِمَا، أَمِ اللهُ جَبَلَنِي عَلَيْهِمَا؟» قَالَ: «**بَلِ اللهُ جَبَلَكَ عَلَيْهِمَا**» .

(1) قال النووي في شرح مسلم: «قَوْله : "فَقَالَ عُمَر بْن الْخَطَّاب : دَعْنِي يَا رَسُول الله فَأَقْتُل هَذَا الْمُنَافِق؟"، وَفِي رِوَايَات أُخَر:" أَنَّ خَالِد بْن الْوَلِيد اِسْتَأْذَنَ فِي قَتْله" لَيْسَ فِيهَا تَعَارُض ، بَلْ كُلّ وَاحِد مِنْهُمَا اِسْتَأْذَنَ فِيهِ» انتهى، شرح حديث رقم (1063).

(2) أخرجه مسلم في صحيحه (25) من حديث ابن عباسٍ رضي الله عنهما مرفوعًا.

قَالَ:« الْحَمْدُ للهِ الَّذِى جَبَلَنِى عَلَى خَلَّتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ وَرَسُولُهُ»[1] ؛ فهاتان خَصلتان يحبهما الله ورسوله ﷺ، لذلك عندما نشير إلى هذا السؤال وهو: إلى متى يحلم المرء؟ وجدنا النبي ﷺ لا يزيده جهلُ الجاهل إلا حلمًا.

الحِلْمُ ومقاومةُ نزغ الشيطان

وقد بيَّنت الآيات الكريمات هذا المعنى، وهو أنه سيأتي الشيطان وستنزغ النفس للمرء: كيف يترك حقه؟ وكيف لا يرد الإساءة بالإساءة؟ وكيف لا يرد الشتيمة بالشتيمة؟ وكيف يتغاضى؟ وكيف يُنقص من كرامتهِ؟ وكيف يُقال عليه مُهان لا يساوي شيئًا؟ وأنه صار «مَلْطَشَةً» للخَلْق، وأنه سوف يتمادى الناسُ في أن يُسيئوا إليه... وكذا وكذا.

وانظر إلى هذا الحديث: عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رَسُولَ الله! إِنَّ لِى قَرَابَةً؛ أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِى، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَىَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَىَّ؟ فَقَالَ: «**لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ**» أي تضع في أفواههم الرمادَ الحارَ المتبقي من النار والإيقاد. « **وَلاَ يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللهِّ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ**»[2]

(1) أخرج هذه الروايةَ أبو داود (5225) من رواية الصحابي زارع بن عامر رضي الله عنه وكان مِن بيْن وفدِ عبد القيس الذي قدم على النبي ﷺ مع الأشجّ، وصحَّحها الألباني في صحيح أبي داود.

(2) أخرجه مسلمٌ في صحيحه (2558)

فهذا الذي يقول سيصير «ملطشة»، وتضيع كرامته، وسيتمادى الناس لو حلم عليهم انظر ماذا قال ﷺ: « **وَلاَ يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ** » أي نصير عليهم، يعني: أنك طالما كنتَ على هذه الأخلاق فإن الله تعالى هو ناصِرُكَ، فإن الله تعالى هو ظهيرك.. هو مؤيدك، فكيف بمن يؤيده ربُّه وينصره ربه، أيكون نصرُه كمَن ينصر نفسَه؟! إنْ تركه الله تعالى لنفسه خَذَلَهُ، وإن تولى هو ﷻ نَصْرَهُ فأَكْرِمْ به من امرئٍ قد امتلأ كرامةً من الله وعنايةً من الله تعالى ونصرًا من الله تعالى وتأييدًا من الله تعالى طالما كان على هذا الحال!

كان النبي ﷺ جالسًا وأبو بكر ﷺ وشخص يسب أبا بكر وأبو بكر ساكت ﷺ، حتى إذا أطال الرجلُ في سِباب أبي بكر، ردَّ عليه أبو بكر! فقام النبي ﷺ مغضَبًا. قال له أبو بكر ﷺ: «بأبي أنت وأمي يا رسول الله!». قال النبي ﷺ: «**قيض الله تعالى لك ملكًا ما يزال يرد - أو لا يزال يرد - عنك، حتى إذا رددت عن نفسك ذهب المَلَك وجاء الشيطان، وما كنتُ أجلس إذا جاء الشيطان**».

وهذا المعنى الذي ذكرَه الحديث الأخير ذكرَتْهُ الآيات، وهو أنه ما من آية من آيات الدفع بالحسنة إلا وسيأتي النزغ من الشيطان ليمنع ذلك، قال تعالى: ﴿**وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ**﴾ [فصلت:34]، ﴿**وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ**﴾ [فصلت:37].

هذه الآية الأولى..

والآيـــة الثانيـــة: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف:200].

والآيـة الثالثـة التـي لا رابـع لهـا في سـياق هـذه الآيـات: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون: 96 – 98].

والمعنـى في هـذه الآيـات أنـه لـمَّا قـال تعـالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ لم يقـل: «ادفـع بالحسـنة» فقـط، وكـان سـياق الآيـات كـذلك: لا تسـتوي الحسـنة ولا السـيئة ادفـع بحسـنة. لا، إنـما قـال: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾، يعنـي: "ادفـع بأحسـن الحسـنة"، حتـى وإنْ كنـتَ تتخيـل أنـه سـتُهان كرامتُـكَ وسـتكون «مَلْطَشـة» كـما يُقـال، فـإن الله تعـالى قـال: ﴿فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾.

فلـم يقـل لـه: «ادفـع بالحسـنة» فقـط، بـل قـال: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾. ولـن يتركـك تفعـل ذلـك اثنـانِ: الشـيطانُ والـنفسُ، وسـينزغ لـك بأنـك قـد صرتَ مُهانًـا.. وكرامتـك.. واعتبـارك.. ويجـب أن تـرد.. وأنـه لـيس أحـدٌ أفضـل مـن أحـد، وتمتلـئ نفسـك غيظًـا وكمـدًا... إذا بـالله تعـالى يقـول: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ﴾ يعنـي ينزغـكَ الشـيطانُ حتـى لا تـدفع السـيئةَ بالحسـنة، وألا تـدفع السـيئةَ بأحسـن الحسـنة، قـال تعـالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾، اسـتعذْ بـالله! وكـما قـال في الآيتَـينِ الأولى والثانيـة، أمـا الآيـة الثالثـة

فقال: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ٩٦ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنۡ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ٩٧ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحۡضُرُونِ﴾ [المؤمنون: 96 - 98].

لذلك كان هذا المعنى، وهو أنه لا يزيده جهلُ الجاهل عليه إلا حلمًا.

لذلك كان ينبغي ويجب على أهل الإيمان أن يتفكروا في هذه الأخلاق السيئة التي هي مردها إلى النفس، ومردها إلى الشيطان، ومردها إلى الهوى؛ ليس مردها إلى أخلاق النبي ﷺ وإلى صفات الحق ﷻ «الحليم».

واعلم أنه كذلك إذا ما صرتَ إلى هذه الحال التي لا تحلم فيها على الناس، فإنك معرَّض أن تخرج عن حلم الله تعالى، وأن يعاقبك الله تعالى، وأن يعاجِلك بالعقوبة. فالله تعالى يحلم على خلقه: يكفرون به ويجعلون له ندًّا وينادون له ولدًا ﷻ، ومع ذلك يُغْنِيهم ويرزقهم حلمًا بهم، ينتظر توبتهم أو إعذارًا لهم لتنقطع حُجَّتُهم، أو لحكمةٍ من حِكَمِه البالغة ﷻ!

والمسلمون فيما بينهم ينبغي أن يُحققوا هذا، يعني يحققوا هذا الخُلُقَ، حتى يخرجوا من عبادة أنفسهم ومن غضبهم لها ومن انتقامهم لها ومن طاعتهم للشيطان ونزغِه.. يخرجوا من كل ذلك ليتخلقوا بخلق النبي ﷺ.

لا يكون الصلاحُ إلَّا بالحِلم

واعلم هذا المعنى: أنه لا يتفق عدمُ الحلمِ والصلاحُ، فلا يكون المرء صالحًا إلا أن يكون حليمًا. وانظر إلى هذه الآية التي تبين هذا المعنى كما قال تعالى لما دَعَى إبراهيمُ ربَّه جل وعلا يقول: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠٠ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات: 100، 101].

فلما دعا أن يرزقه الله تعالى ولدًا صالحًا، كانت إجابة الله تعالى أنْ رَزَقَهُ ولدًا حليمًا، وكأنه لا يكون الصلاح إلا بالحلم، وأن أعظم مآثرِ الصلاح أن يكون المرءُ حليمًا؛ إذ ما يحلم المرء إلا أن يكون صالحًا، أما مَن لم يكن صالحًا فكيف يكون حليمًا؟ ومَن يتبع نَزْغَ الشيطان والهوى وكرامة النفس والدنيا ومخالفة خُلُق النبي ﷺ أنَّى يدخل إلى معنى الصلاح؟! أو أنَّى يكون في حيز الحُلماء الذين أحبهم اللهُ تعالى وأحبهم النبيُّ ﷺ كما ذكرنا في حديث الأشجِّ رضي الله عنه.

كيف يَصير المرءُ حليمًا؟

كيف يصير المرء حليمًا، وهو لا يستطيع أن يصبر على أخلاق الناس، وأعصابه تنهار، ولا يستطيع أن يصبر على أن يُشتم أو أن يُهان أو أن تُصاب كرامته بشيء. لا بد أن يرد، وأن يتبع الشيطان، وأن يأخذ بنزغ الشيطان.. كيف يكون حليمًا؟!

يقول النبيُّ ﷺ: «**إنما الحِلْمُ بالتَّحَلُّمِ**»[1] إلى آخر الحديث.

«إنما الحِلْمُ بالتحلم» يعني: أن يجاهد المرء نفسه على أن يعاهد اللهَ تعالى على أنه كلما بَدَرَ سببٌ من أسباب الغيظ والغضب ومعاجلة العقوبة وعدم التريث والطيشِ والسفهِ، أن يجاهد نفسه على كَتْم ذلك لله تعالى، وأن يوقف نفسه، وأن يُلْجِمها بلجام الشرع، وأن يتعلم قول النبي ﷺ: « **لاَ تَغْضَبْ .. لاَ تَغْضَبْ**.. **لاَ تَغْضَبْ** »[2] ، وأن يستعمل حينئذٍ كل ما يكون من أسباب مَنْع الغضب ومن أسباب الدفاع عن النفس والانتقام لها، وأن يُحلِّم نفسه، وكلما أساء إليه أحدٌ يتأسَّى بالنبي ﷺ كما رأينا من قولِه وفِعْلِه، ومن تبسُّمه وإرشادِه، ومن تعليمِه وإبعاد الشيطان.

والنبيُّ ﷺ لا شك أنه أعلى خَلْقِ الله تعالى في هذه الحالة لأنه كما قال المولى: ﴿**إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ**﴾ [الإسراء: 65]. فتَرْكُ الحلم ورد السيئة بالسيئة ومكافأة الشر بالشر إنما كل ذلك مردُّه لنزغ الشيطان واتباع النفس، وليس ذلك للنبي ﷺ، فهو أول مَنْ تأمره نفسُه بالطاعة؛ إذ هو صاحب النفس المطمئنة ﷺ، وإذ هو كذلك لا يأمره الشيطان فليس له عليه سبيل.

---

(1) أخرجه الخطيبُ البغدادي في تاريخ بغداد، باب الزاي، ذِكر من اسمه «سعد»، وحسّنه الألباني في صحيح الجامع (2328)

(2) أخرجه البخاري (6116) في صحيحه، ولفظُه عنده: عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ - رضى الله عنه - أَنَّ رَجُلاً قَالَ لِلنَّبِىِّ صلى الله عليه وسلم: أَوْصِنِى . قَالَ «**لاَ تَغْضَبْ**» . فَرَدَّدَ مِرَاراً ، قَالَ «**لاَ تَغْضَبْ**» .

وأهل الإيمان مطالبون كذلك بالتحلُّم، وبمجاهدة النفس عليه، وسيسقط في الامتحان الأول والثاني والثالث، ولكن لا بد أن يُجاهد، وأن يُثابر، وأن يُعافر - كما يقولون - حتى تستقيم له نفسُه، وحتى يستقيم له خُلُقه، وحتى يكون قد أخذ بحظه من هذا الاسم المشرف من أسماء الله تعالى «الحليم»، وأخذ كذلك بحظه من متابعة النبي ﷺ ومحبته، وأن يعلم ما أشرنا به في نهاية القول أنه لا يستقيم الصلاح مع عدم الحلم، وأنه لا يكون صالحًا إلا أن يكون حليمًا.

والحلم هذا درجاتٌ، يحاول المرء أن يجاهد فيه نفسَه درجةً درجةً، وإن رأى الله تعالى منه صدقًا وإخلاصًا وإقبالًا عليه ومحبةً لصفات الرب وتعلقًا بها، ومحبةً للنبي ﷺ والتزامَ سُنته واتباعَ هَدْيه ﷺ في العسر واليسر والمَنْشَط والمَكْره؛ أي فيما يُحب المرءُ ويكره، فإن الله تبارك وتعالى يفتح عليه، وإن الله تبارك يشرح له صدره، خاصة إذا وقف يتضرع إلى الله تعالى أن يرزقه هذا الخُلق.. إذا ما وقف لله تعالى يشكو نفسه لربه مما هو فيه من سوء الأخلاق، ومما هو فيه من بُعدِه عن محبة النبي ﷺ والتخلق بصفاته الحميدة وشمائله الحسنة ﷺ كما قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب:21].

ليس لكل أحد إذًا هذه القدوة، وليس لكل أحد هذه الأسوة، وإنما هي لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرًا. وأنت لا ترضى لنفسك أن تكون أقل من ذلك، وأنت لا ترضى لنفسك ألا تكون من هؤلاء بخروجك عن تَأسِّيك بالنبي ﷺ واقتدائك به.

لذلك كانت هذه القضية مما يجب أن تشيع بين أهل الإيمان وأن يبدءوا في التحقق بها، فمَن كان بينه وبين أخيه مظلمةٌ في مثل ذلك أن يتحلله اليوم كما قال النبي ﷺ قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، أن يتحلله اليوم لتكون بداية له في هذا التخلق بهذا الخلق، حتى تشيع رحمة الله تعالى بين المؤمنين، ويرتفع ذلك البلاء النازل الذي قد نزل بسبب أخلاقهم وسُلوكهم، وبسبب بُعدهم وتَفريطهم، وإذا لم يكونوا هم السببَ الذي يرفع الله بهم هذا البلاءَ؛ فبِمَنْ يرفع اللهُ تعالى هذا البلاءَ النازل؟! ومن الذي يتحملُ هذه المسئوليةَ؟ إنما هي مسئولية المؤمنين المتقين. فإنْ فرَّطوا فيها فرطوا في حق أنفسهم.. وفي حق رسولهم.. وفي حق ربهم.. وفي حق بقية إخوانهم، وينتظرون - والعياذ بالله تعالى - أن يَحِلَّ بهم ما حل بغيرهم.

المسارعة إذن في التخلُّق بالحلم؛ إذْ ما أحوجَنا اليوم إلى هذا الخُلق لتَحِلَّ به الرحمةُ، ويرتفع به الشقاق، وتزول به البغضاء والقطيعة، وليزول به الحقد والغل الذي تمتلئ به قلوبُ الناس حين لا يَقْدِرون أن يردوا الصاع بالصاع والصاع بالصاعين، وأن يكون لهم - كما أشرنا - القدوة الحسنة في النبي صلى الله عليه وآله وسلم!

❁❁❁

ونختم بهذا الحديث:

جيء إلى النبي ﷺ بأبي سفيان في غزوة الفتح، قُبِضَ على أبي سفيان وجيء به إلى النبي ﷺ، وكان أبو سفيان رئيس قريش، وهو الذي حزَّب الأحزاب للنبي

ﷺ وكان سببًا في قتل حمزة أسد الله تعالى، وقد مُثِّلَ به وقتل سبعون من المسلمين بسببه ومُثِّلَ بهم وقُطِّعت آذانهم وآنافهم رضوان الله عليهم وفَعَلَ وفَعَلَ أبو سفيان حتى جيء به للنبي ﷺ، ومَنْ مِثْلُه وليس له عهد ولا أمان حقيقٌ أن يُقتل فورًا، ومع ذلك يقول له النبي ﷺ في غاية الحلم: «**أما آن لك يا أبا سفيان أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله؟**». ما كان أغناهم عن أبي سفيان وملء الأرض من أبي سفيان وتنتهي قصة أبى سفيان بما كان فيها من إيذاء وتعذيب ومصائب وقتال وكذا وكذا وكذا! ويقول أبو سفيان الكلمة المشهورة: «بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي؛ مَا أَحْلَمَكَ وَأَكْرَمَكَ وَأَوْصَلَكَ!» ﷺ.

قال ﷺ: «أما آن لك أن تشهد أن لا إله إلا الله؟» قال: «نعم، أشهد أن لا إله إلا الله». قال: «أما آن لك أن تشهد أني رسول الله؟». قال: «في النفس من ذلك شيء».

انظر إليه في موقف يقول: «في النفس من ذلك شيء»!

انظرْ إلى حِلمه ﷺ برغم كلِّ ذلك حتى قال أبو سفيان - الذي قضى أغلب عمرَه يقاتل النبي ﷺ حتى فتح مكة- : «بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي؛ مَا أَحْلَمَكَ وَأَكْرَمَكَ وَأَوْصَلَكَ!» [1]

كان ﷺ مهما فُعِلَ فيه يحلمُ! وهو ما ينبغي أن يتأسّى به المرءُ المسلم حتى لو امتلأ المرء غيظًا وضيقًا وكمدًا ..فهذا هو الامتحان الذي إمَّا أن يُظْهِر فيه المرءُ

(1) أخرجه الطبراني بنحوه في الكبير وقال الهيثمي في المجمع: «رجاله رجال الصحيح» ، وأخرجه أيضا الطحاويُّ في مشكل الآثار وصحّحه، كما صحّحه الحافظ في المطالب العالية (4/ 418)

محبتَه للنبي ﷺ وتخلُّقه بخُلقه، أو أن يُظهِر أنه لا يزال يتبع نزغَ الشيطان واتباع النفس والهوى، و لا يدفع السيئة بالحسنة .